

جامعة الموصل

كلية الآداب

القسم: التاريخ



عنوان المحاضرة: معتزلة بغداد

المادة الدراسية: تاريخ الفكر السياسي الاسلامي

المرحلة الدراسية: دكتوراه تاريخ اسلامي

مدرس المادة: أ.د. نايف محمد شبيب

العام الدراسي: ٢٠٢٥-٢٠٢٦

المعتزلة في بغداد

أولاً - المعتزلة في بغداد وانتشار تعاليمها

ظلت البصرة مركزاً لحركة الاعتزال كلها رغم تعدد شيعها حتى قامت العاصمة بغداد وازدهرت واستقر بعض رجال تلك الحركة فيها ، وقد أخذ معتزلة بغداد الاعتزال عن معتزلة البصرة، حيث خرج بشر بن المعتز الى البصرة، فلقى بشر بن سعيد، وأبا عثمان الزعفراني، وهما صاحبا واصل بن عطاء فأخذ عنهما الاعتزال، وحمل الاعتزال والأصول الخمسة الى بغداد

وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧ - ١٥٨ هـ) رفع المعتزلة رؤوسهم، وذلك لأن عمراً بن عبيد كان صديقاً للمنصور قبل أن تقول اليه الخلافة، وكان المنصور يحترمه ويخضع له، ويطلب منه الموعدة لزهداً ، وفي تلك الأثناء كان المعتزلة يعلمون الكلام في مسجد المنصور ببغداد وعلى الرغم من صلات الخليفة المنصور بفكر المعتزلة واختلاقه الى حقائقهم، إلا أننا نجد المعتزلة يناصرون ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ابن أبي طالب حين خرج من البصرة ومعه المعتزلة والزيدية لمحاربة الخليفة المنصور ، ونهى الخليفة هارون الرشيد عن المجادلة وأمر بحبس المتكلمين وقد بلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه كما قام الخليفة الرشيد بحبس بشر بن المعتز ، فكان ينظم في السجن شعراً في العدل والتوحيد والوعيد، فألهج الناس بنشدها في كل مجلس ومحفل حتى قالت حاشية الرشيد له في ذلك ان بشراً في سجنه أخطر مما كان حراً ،

لم تبلغ تعاليم الاعتزال مبلغها من القوة والانتشار في العصر العباسي الأول إلا في عهد الخليفة المأمون واشتهر المأمون بالحرص على الدين ومتابعة الملحدين والزنادقة وقد تتلمذ المأمون على يد شيوخ المعتزلة، أمثال: ثمامة بن الأشرس، ويحيى بن المبارك وبشر بن غياث المريسي، وأبي الهذيل العلاف وقد كانوا من رءوس المعتزلة ولما كان المعتزلة في وقت المأمون طلاباً للعلم والفلسفة فإنه قريهم اليه، واستطاب مجالسهم فأدى به ذلك الى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم وهو الذي شغف بالعلم ومجد الرأي، وقد التف حوله رجالهم، وجلس هو منهم مجلس التلميذ^(١)

(١) احمد شوقي ابراهيم المرجعي : المعتزلة في بغداد واثروهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ٤٦ - ٤٧

وقد عمل المأمون على عقد مجالس للمناظرة، وذلك لإزالة الخلاف بين المتناظرين في المسائل الدينية التي كانت مصدر جدل ونزاع، وكان مجلسه للمناظرة كل يوم ثلاثاء ، وكان يميل الى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقترب أتباع هذا المذهب اليه، ومن ثم أصبحوا ذوي نفوذ كبير في قصر الخلافة ببغداد، ووافق المأمون المعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن القرآن مخلوق وعمد الى تسخير قوة الدولة في إرغام الناس على القول بخلق القرآن ، ويروي أن الخليفة المأمون قد تلقى مبادئ الاعتزال على يد ثمامة بن الأشرس

عني المأمون بالفلسفة وعلوم الأوائل و مهر فيها، واجتمع عليه جمع من علمائها، فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ، وكان مجلسه عامراً بالمتكلمين، فغلب عليه حب المعقولات، وأمر بترجمة كتب اليونان، وأحضر المترجمين من البلاد، فترجمت واشتغل الناس بها، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية واستطاعوا أن يقنعوه بأفكارهم . فقبلها واستحسنها، ودعا الناس اليها وعاقب المخالفين لها، ونتيجة لذلك ارتفع شأن المعتزلة في عهده لأنه أيدها واعتنق مبادئها

أما الرجل الذي لعب دوراً كبيراً في بلاد الخلفاء، واستطاع بنفوذه، لديهم أن يجعلهم يحملون الناس في كل مكان على الإيمان بمذهب المعتزلة فهو القاضي أحمد بن أبي دؤاد الأيادي الذي بدأ في خدمة العباسيين في سنة ٢٠٤ هـ واتصل أمره بالخليفة المأمون عن طريق يحيى بن أكثم ، والذي قرّبه الى الخليفة وزكاه

ولم تتضح معالم اعتناق المأمون المبادئ المعتزلة إلا في الفترة الاخيرة من حياته الواقعة بين سنتي ٢١١ - ٢١٨ هـ) ، ففي سنة ٢١١ هـ أمر المأمون منادياً ينادي أن برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، أو فضله على أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله، علي بن أبي طالب أعلن المأمون ذلك لميله الى المعتزلة، فالمعتزلة يصفون معاوية بالبغي ومنازعة الأمر أهله وعدم جدارته بالإمامة الصحيحة، بل يتطرف بعضهم فيحكم عليه بالكفر

وقد أعلن المأمون اعتناقه مبادئ المعتزلة سنة ٢١٢ هـ حيث أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر «فأشمازت منه النفوس، وكانت الفتنة تعم البلاد، ولم يتم له من ذلك ما أراد فكف عنه الى سنة ٢١٨ هـ (٢)

(٢) احمد شوقي المرعبي : المعتزلة في بغداد واثروهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ٤٨ - ٤٩

ثانياً - أبرز شيوخ المعتزلة في بغداد :

١ - بشر بن المعتمر :

أ - اسمه وصفاته : بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. وقد قيل إن جميع معتزلة بغداد كانوا ممن استجابوا له واتبعوا رأيه. تنسب إليه الطائفة (البشرية) منهم له مصنفات في (الاعتزال) منها قصيدة في أربعين ألف بيت ردّ فيها على جميع المخالفين ومات ببغداد سنة ٢١٠هـ^(٢) وهو مؤسس فرع الاعتزال فيها وكان حسن الجدل، قوى الحجة، وبعد في الذرة من فصحاء المتكلمين وبلغائهم ، ويعتبره بعض الباحثين المحدثين أنه أول من أسس علم البلاغة العربية وقد نصح الكاتب بأن يتخير أوقات الكتابة فليس كل وقت صالحاً لها^(٣)

اقترن أول ظهور لمن عرفوا بمدرسة بغداد في الاعتزال بأبي سهل بشر بن المعتمر فقد نقل ما درسه بالبصرة من مقالات إلى بغداد، لكنه اجتهد بالنقل، فكانت له مدرسة عرفت بتسميات عديدة، جميعها تشير إلى مسمى واحد، مدرسة بغداد ومعتزلة بغداد والبغداديين ومن المقالات التي فرقت الاعتزال إلى بصري وبغدادي هي مقالة البغداديين في تفضيل علي بن أبي طالب على خلفاء الرسول الآخرين. يشير إلى ذلك المعتزلي البغدادي المتأخر ابن أبي حديد بقوله : "وقال البغداديون قاطبة قدمائهم ومتأخروهم: إن علياً أفضل من أبي بكر . بينما يرى معتزلة البصرة أن علياً هو الأفضل حين أسندت له الخلافة فقط، بمعنى التدرج بالأفضلية. وما جعل البصريين يؤكدون المقالة السابقة في الإمامة هو تاريخ البصرة الإسلامي الذي بدأ متعاطفاً مع الأمويين والعمانية الناشطة آنذاك، ولعل الولاة الأوائل أثروا في البصرة هذا التأثير، مثل زياد بن أبيه، وقصة إلحاقه بآل سفيان من قبل معاوية ، وبسبب غليان البصرة بالمتناقضات بعد أن أصبحت محطة لجمل ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعسكراً للخوارج قال : عنها علي بن أبي طالب : واعلم أن البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن ويروي المعتزلي عبد الله الناشئ موافقة بشر بن المعتمر معتزلة البصرة في صواب خلافة أبي بكر الصديق عند النظر في مسألة إمامة المفضل (بعد الفاضل درجة)، بقوله : قال بشر بن المعتمر : كان علي أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر يليه في الفضل، إلا أن قریشاً كانت أميل إلى أبي بكر منها إلى علي ، وبما أن الزيدية تتر أيضاً خلافة الشيخين أبي بكر وعمر فعلى هذا الأساس قام تقارب وتداخل بين

(٢) الزركلي : الاعلام : ج ٢ ، ص ٥٥

(٣) احمد شوقي العمرجي : المعتزلة في بغداد والثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ١٤٩

مقولات الاعتزال والمذهب الزيدي ببغداد، وعلى وجه الخصوص أيام الحكم البويهى، الذي كان شيعياً على المذهب المذكور. من ذلك اعتماد المتكلمين والفقهاء الزيديين أصلي الاعتزال الرئيسيين؛ التوحيد والعقل. وما يتبع ذلك من الاعتقاد بنفي القدر ونفي الصفات، وخلق القرآن. وفي هذه العلاقة يقال ان أكثر (الزيدية) يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة. وبسبب التداخل بين المذهبين في الكلام والفقه بات من غير اليسير التمييز بينهما.

تميز بشر بن المعتز بين معتزلة عصره بنظريته المعروفة بـ التولد، والتي تعني أن الفعل قد ينتج عنه فعل آخر أو يظهر شيء من شيء آخر. وقد أشار محمد بن عبد الكريم الشهرستاني إلى أن بشر هو من أبرز من قال بهذه الفكرة ووسّعها.

ويقصد بالتولد أن بعض الأعراض التي تظهر على الأجسام قد تنشأ نتيجة أفعال الإنسان. وعزف القاضي عبد الجبار التولد بأنه الفعل الذي يحدثه الإنسان في نفسه أو في غيره، مؤكداً أن الجمادات لا يصح أن ينسب إليها فعل لا بطبيعتها ولا باختيارها.

ويرى بشر بن المعتز أن الأعراض مثل اللون والطعم والرائحة والإدراك يمكن أن تنشأ نتيجة أفعال الإنسان إذا كانت أسبابها مرتبطة بفعله. وقد نقل أبو الحسن الأشعري هذا الرأي وفسره بأن الإنسان يكون مسؤولاً عن كثير من الأعراض التي تظهر نتيجة أفعاله، مثل اللذة والحرارة والبرودة والجوع والإدراك. كما ذكر ابن الراوندي أن بشر يرى قدرة الإنسان على إحداث بعض الصفات أو الأعراض المرتبطة بالأجسام. ويقال: أن بشر لا ينسب جميع الأعراض إلى فعل الإنسان، بل يعتقد أن ما يحدث بسبب فعل الإنسان فقط هو الذي يُعد من فعله، أما ما لا سبب له من جهته فهو من فعل الله تعالى^(٥)

٢ - أبو موسى المردار (ت ٢٢٦ هـ) : هو عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار، وكان زاهداً، وقد سمي راهب المعتزلة، واليه يرجع الفضل في انتشار الاعتزال ببغداد بورعه، وبِقوة لسانه، وفصاحته وقدرته على الوضوح وحسن القصص^(٦) ويذكر أنه انحدر من البصرة مولداً ثم نشأ ببغداد، ونحل من معتزليها الأول بشر بن المعتز. وليس هناك ما يفيد حول انحدره، مولى أو عربي الأصل، ماعداً

(٥) رشيد خيون: معتزلة البصرة و بغداد، ص ٢٣٦، ٢٤٧.

(٦) احمد شوقي المعرجي: المعتزلة في بغداد واثروهم في الحياة الفكرية والسياسية، ص ١٥٣.

لقبه "المردار" الذي يُشير إلى أنه من الموالي. فالواضح أن لقبه مشتق من كلمة "مرد" أو "مردى" الفارسية والتي تعني رجل ، وعادة تطلق تسمية الغلام على الشاب أو الصبي من الموالي،

يعود الفضل في تأسيس مدرسة الاعتزال البغدادية، أو بعبارة أصح نقل الاعتزال من البصرة إلى بغداد إلى المتكلم بشر بن المعتمر، تلميذ البصريين الأوائل. لكن الفضل في انتشار مقالات تلك المدرسة يعود إلى أحد أقطابه، هو أبو موسى عيسى بن صبيح المردار ، نكر عن المردار أنه "أظهر الاعتزال ببغداد، وعنه انتشر وفشا . كذلك اختص بلقب "راهب المعتزلة" لكثرة عبادته و مقاطعته مجالس الدولة متفرغاً لحلقته الدراسية. وهناك روايات تؤكد تحريمه الحضور تلك المجالس، أو تحريم مخالطة أرباب السلطة بحال من الأحوال. وبسبب ذلك تمنى له عبد القاهر البغدادي القتل، قائلاً: كيف غفل سلطانه في زمانه عن قتله على هذه البدعة

كان أبو الهذيل العلاف يحضر ندوات المردار، وشهد له بالفضل، بقوله : "هكذا شهدت أصحاب أبي حنيفة واصل بن عطاء وأبي عثمان عمرو بن عبّيد"، فمن خلال تلك الندوات ظهر جل معتزلة بغداد. ويُشير المؤرخون إلى تأثير عيسى المردار على معتزلة بغداد في اتخاذ سلوك التصوف والزهد تجاه وظائف الدولة والثروة. فاستأذه بشر بن المعتمر رغم خلافه مع البصريين بمقالات خاصة في الإمامة واللفظ وغيرها، ظل على طريقتهم في محاباة الدولة، من بعيد. فقد كان من الشهود على كتاب ولاية العهد للإمام علي الرضا من قبل المأمون، وذلك يعني أنه كان من المقربين، دون صفة رسمية كقاض أو وزير

وينكر الشهرستاني فكر عيسى المردار بالمقالات التالية : إن الله تعالى يقدر على أن يكنب ويظلم، ولو كنب وظلم كان إلهاً كاذباً ظالماً على حد زعم ابن الراوندي والشهرستاني . وفي مسألة التولد أجاز المردار وقوع فعل واحد من فاعلين. وقال في إعجاز القرآن أن الناس قادرون على مثل القرآن، فصاحة ونظماً وبلاغة ثم تكفير من لا بس أو خالط الحاكم^(٧)

(٧) رشيد خيون : معتزلة البصرة وبغداد ، ص ٢٥٢

٣ — ثمامة بن أشرس: أبو بشر ثمامة بن أشرس النعميري، من بني لمير، من جلة المتكلمين المعتزلة كاتب بليغ وبلغ من المأمون منزلة جليلة وأراد على الوزارة فامتنع وله في ذلك كلام مشهور مدون في خطاب المأمون حتى أصفاه وهو الذي أشار عليه أن يستوزر أحمد بن خالد بدلا منه وكان قبل المأمون مع الرشيد ووجد عليه فحيمه عند غلام ... وكان يقرأ «وَيْلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» فيقول: ويحك المكذبون الأنبياء فيضربه ويقول: أنت زنديق ثم حكى الخبر للرشيد وأحسن جائزته وكان ثمامة يقول للحارس: "ويحك، المكذبون الأنبياء"، أي يقصد أن معنى الآية هو: أن الويل والعذاب يوم القيامة يكون للمكذِّبين بالأنبياء. لكن الحارس ظن أنه يقصد الأنبياء أنفسهم أو أنه يطعن فيهم، فاتهمه بالزندقة وقال له: "أنت زنديق" وكان يضربه بسبب هذا الفهم الخاطئ، بعد ذلك نُقل الخبر إلى الخليفة هارون الرشيد، فلما فهم حقيقة كلامه علم أنه لم يقصد سوءا، بل كان يشرح المعنى الصحيح للآية، فأحسن جائزته وأكرمه^(١)

وكان زعيم المعتزلة، وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال وله فرقة تنسب إليه وترى رأيه، اسمها الثمامية، وهو من رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة

يقول الشهرستاني: إنه كان جامعا بين مخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق مخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وكان يتحكم على الناس ويسخر منهم، ويعطى لنفسه حظها في الحياة، فيتعم بالطيبات ولا يتورع ولا يترد قال ثمامة: لا تخلو أفعال العباد من ثلاثة أوجه، إما كلها من الله، ولا فعل لهم ولم يستحقوا ثوابا ولا عقابا ولا مدحا ولا نما - أو تكون منهم ومن الله وجب المدح والزم لهم جميعا - أو منهم فقط كان لهم الثواب والعقاب والمدح والزم.

وقال: لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وما عدا ذلك من أعماله فهو حدث لا محدث له وقد تماهى في الوعيد فجعل من مات من المسلمين مصرا على كبيرة واحدة مخلدا في النار مع فرعون وأبي لهب وأبي جهل وحكى عن ثمامة أنه قال في القرآن: يجوز أن يكون من الطبيعة، ويجوز أن الله سبحانه يبتكئه، فإن كان الله ابتدأه فهو مخلوق، وإن كان فعل الطبيعة فهو لا خالق ولا مخلوق^(٢)

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ٢١٠

(٢) أحمد شوقي المرعي: المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، ص ١٥١

٤ - أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) :

هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الأيادي، ولد بالبصرة (١٦٠ هـ) وتوفي في خلافة المتوكل ونشأ في طلب التعلم والفقه والكلام، وكان فصيحاً وشاعراً

وقد اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكنم، فكان يحضر مجالس المأمون في الجدل والمناظرة، فأعجب المأمون بعقله وحسن منطقته فقربه إليه وأصبح ذا نفوذ كبير في ، وكان معظماً لدى الخليفة المأمون، يقبل شفاعاته، ويصغي إلى كلامه وقد حسن له القول بخلق القرآن ، وكان من وصية الخليفة المأمون للمعتصم وأبو عبد الله بن أبي دؤاد فلا يفارقه، وأشركه في المشورة في كل أمر، فإنه موضع لذلك منك

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضياً للقضاة ، وكان الخليفة المعتصم خاضعاً لرأيه، واقعا تحت نفوذه، وكان لا يفعل فعلاً باطنياً ولا ظاهراً إلا برأيه ، وأصبح تأثيره عليه يفوق كثيراً تأثيره على الخليفة المأمون حتى قال قائل في ذلك: ما رأيت أحداً أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد، كان يسأل المعتصم الشيء اليسير فيمتنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيجيبه إلى كل ما يريد

وبعد وفاة الخليفة المعتصم وتولى الخليفة الواثق، استمر ابن أبي دؤاد في منصب قاضي القضاة وكان يقوم بامتحان الفقهاء في القول بخلق القرآن

وحين تولى الخليفة المتوكل الخلافة صادر أموال أحمد بن أبي دؤاد ، وحبسه فأصابه في حبسه الفالج إلى أن مات

وكان ابن أبي دؤاد عظيم الجاه، قوى النفوذ، وقد كسب نفوذه من شخصيته الفذة ومكانته من الخلفاء، وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة شأن الفرس وقد شغل منصبا من المناصب الواسعة النفوذ، في عهد ثلاثة من خلفائهم: المأمون والمعتصم والواثق (وهو الذي جعل مذهب الاعتزال مذهب الدولة الرسمي، ومن لهم قدم راسخة في الأدب والكلام والفقه ويصفه ابن المرتضى بأن آثاره مشهورة وقد عده المعتزلة في الطبقة السابعة من طبقات رجالهم^(١٠))

(١٠) أحمد شوقي المرعي : المعتزلة في بغداد واثروهم في الحياة الفكرية والسياسية ، ص ١٥٧

ثالثاً - الفرق بين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة

١ - الثوابت بين معتزلة البصرة وبغداد:

إن المؤلفات التي تم كتابتها في الفرق الإسلامية تذكر مجموعة من الثوابت التي تتفق عليها المعتزلة بنهاين مدارسهم، إذ إنهم يتفقون فيها، سواء كانت معتزلة البصرة أو معتزلة بغداد، وتتمثل هذه الثوابت المشتركة بين كل من المدرستين، في الأصول الخمسة، والتي تمثلت كما سبق فيما يلي:

١. التوحيد، وقد جاء الأصل بالاعتماد على الطريقة الجهمية.

٢. العزل، وقد جاء الأصل بالاعتماد على الطريقة القدرية.

٣. الوعد الوعيد.

٤. المنزلة بين المنزلتين.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهي الأصول التي قام عليها الاعتزال في البداية في القرن الثاني الهجري، إذ كانت هذه الأصول الخمسة التي اشتركت فيه كل من المدرستين هي الفاصل في كون الفرد يتم اتسامه بكونه معتزلي أو غير معتزلي عدا هذه الأصول فيما يرتبط بالجزئيات التي تندرج تحت نطاق الكليات فإن المعتزلة في الفرقة الواحدة يختلفون فيها

ب - المتغيرات بين معتزلة البصرة وبغداد:

وتتمثل المسائل التي اختلفت فيها كل مدرسة البصرة ومدرسة بغداد ما يلي

١. مسألة الخلاف في الجوهر.

٢. مسألة الخلاف في الأصوات.

٣. مسألة الخلاف في الآلام والملذذ.

٤. الخلاف في الأكوان.

٥. مسألة الخلاف في التأليف.

٦. مسألة الخلاف في الحياة.

٧. مسألة الخلاف في الاعتقاد.

٨. مسألة الخلاف في القدر .
٩. مسألة الخلاف في العلوم والاعتقادات.
١٠. مسألة الخلاف في النظر والاستدلال.
١١. مسألة الخلاف في الإرادات والكرامات (١١)

الرؤية السياسية لمعتزلة بغداد

الرؤية السياسية عند معتزلة بغداد مبنية على أصليين مهمين من أصولهم:

• العدل:

يرون أن الله عادل، وبالتالي يجب أن تكون السلطة السياسية عادلة، والحاكم مسؤول عن أفعاله.

• حرية الإنسان:

الإنسان مختار، لذلك الحاكم يُحاسب على ظلمه، وليس معذورًا بالقضاء والقدر: ويعني أن السياسة عندهم قائمة على المسؤولية والمحاسبة، وليست الطاعة العمياء .

الخلاصة

رؤيتهم السياسية تقوم على:

العدل

الحرية

محاسبة الحاكم

يجيزون عزل الحاكم الظالم

يرون الدولة أداة لتحقيق القيم الأخلاقية

(١١) سعد عطية غلمش : معتزلة البصرة وبغداد الثوابت والمتغيرات ، ص ٤٢ - ٤٣